المساكين

[مختارات من قصيدة لفيكتور هوغو — وقد احتفل بانقضاء نصف قرن على وفاته — تدور على قصة رجل من الصيادين مضى كعادته الى البحر يصطاد ليحمل الى عياله القوت . وبينما كان يصاول اهاويل اليم ويدافع عاصف الريح، كانت امرأته تأوي في كوخها طفلين لجارة لها من المساكين ماتت بالليل عنهما، تتركهما فراخاً وكثيراً ما وجد الصياد لديه فراخاً وكثيراً . ثم جعلت ترقب أوبه بنيها وجلة تساورها الهواجس تسأل نفسها ماذا عسى يكون رأيه في صنيعها هذا]

مناجاة الشاعر لنساء الصيادين

وارحمتاه لكُنَّ يا نساء الصيادين ! ما افظع ان تتناجي تقولين : « هناك ارواح لي . أب ، حبيب ، اخوة ، ولد ، كل عزيز عندي ، هناك في هذه الفوضى ! — قلبي ، دمي ، جوارحي » . يا لله ! ان من كان فريسة الامواج كان فريسة الوحوش . يا ويلتا ! إذ نتصور ان جميع هذه الرؤوس يلهو بها اليمّ ويلعب ، من الولد الذي يتعلم الملاحة الى الزوج المعلم ، وأن الريح الهوجاء النافخة في ابواقها قد ارسلت من فوق رؤوسهم شعورها المقدودة[1] المتشعثة . وان نظل دائماً لا نعلم علم العلم ما هم يفعلون ، وانهم اذ يصاولون ذا الخضم الذي لا قرار له ، وكل مهلكات الظلام حيث لا نجم فيها يضيء ، لا يجدون سوى حزة[2] لوح وقطعة قماش ! هم يذهبون ! نطلق بين الجنادل ، ويقبل المد فنخاطبهُ ونصرخ في وجهه : « ويحك ردهم الينا ! » ولكن وا أسفا ! ماذا عسى يقول بحر لا يبرح ملتطماً ، لذي بال لا يبرح في هم وحسرة ؟

وحنة ايضاً اشد حزناً وكمداً . إن بعلها لوحيد ! وحيد في هذا الليل الأليل ! وحيد تحت هذا الستار الاسود ! لا وليّ ولا نصير . انما الاولاد جد صغار — ايتها الام ! انك تقولين : « ليتهم كانوا كباراً ! ان اباهم لوحيد ! » اوهام واضاليل ! غداً حين يمضون بجانب ابيهم وينطلقون تقولين باكية : « ويلاه ! ياليتهم كانوا صغاراً ! »

في بيت الجارة الميتة

فولجت . واضاءة داخل البيت سراجُها . بيت مظلم لا تسمع فيه ركزاً[3] ولا نبأة[4] عند شاطىء الامواج القاصفة قد ثوى[5] وكان الماء من السقف يسيل ، كأنما من عيون غربال يسيل

---

(١) الطويل الناعم (٢) القطعة (٣) الصوت الخفي (٤) الصوت ليس بالشديد (٥) اقام

في الصدر كان صوت يبعث الهلع مستقياً . امرأة صاحية[1] متقلبة والقدم منها عارية بصر مستطوى ، وهيئة مرعبة هائلة . جثة : — من قبل ام مرحة شديدة ؟ — شبح ذات بؤس هتكت محفوفة الشعر . ما بقي من المسكين بعد طول عراك وجهاده وكانت قد تدلت منها بين قش الفراش البالي ذراع صفراء باردة . ويد يعلوها اخضرار : وكان الدم جامداً بين هذا الفم المفهق[2] الذي كانت الروح ، وهي مزنية منه حسرى كئيبة ، قد صرخت صرخة الموت الكبرى التي تسمعها الابدية !

بجانب الفراش الذي كانت الام فيه منطرحة ، كان طفلان جد صغيرين ، ذكر وانثى ، في مهد واحد نائمين يبتسمان ، وكانت امهما ، إذ احست بدنو الموت ، قد القت على ارجلهما إتبها[3] وعلى بدنهما ثوبها ، لكي لا يشعرا ، ساعة الاحتضار اذ الموت يفتاشنا[4] بالحرارة تفترُّ ، وليجدا الدفء بينما هي تبرد

***

ما أشد نومهما في مهدها الذي يضطرب ! انفاس هادئة واسارير وجه راقدة ، وكأن لا شيء يوقظ هذين اليتيمين النائمين ، حتى نفخ الصور في يوم البعث ، اذ ، وهما الطاهران ، لا يخافان الحساب ولا الديان

والقطر في الخارج كالطوفان يهدر ويهمر . ومن السقف العتيق المتهتك الذي تنبعث منهُ الريح ، تقع أحياناً على هذا الوجه الميت قطرة تسيل منهُ على الخدين فتستحيل عبرة ودمعة . والموج له دوي كدوي جرس الاستغاثة ، والميتة مصغية الى الموت لا تفقه ! إذ كان البدن ، حين تزايله الروح للشرقة ، ينشدُ الروح وينادي ملَكهُ ، وكأنما تسمعُ هذا الحوار العجيب بين الفم الذي ذبُل والعين الرائعة : ما صنعت بانفاسك ؟ — وانت بيصرك ؟

يا أسفا ! احبوا ، واحيوا حياتكم ، واقطفوا زهر الربيع ، وارقصوا ، واضحكوا واحرقوا قلوبكم ، واجرعوا كؤوسكم ، فكما الى البحر الخضم غاية كل نهر ، كذلك كتب القدرُ أن غاية الولية ، والمهد ، والامهات الوالهات بأطفالهن النشء الصغار ، وقبلات البدن التي تبهتُ النفسَ وتُدهشها ، والاغاني ، والابتسامة ، وجديد الحب وحلوه ، غاية كل اولئك برودة الجدث المحزنة !

(١) ساكنة (٢) المفتوح الواسع (٣) قيص المرأة او ثوب لها بلا اكمام (٤) اتاش . تناول اختطف

فكتور هوجو الشاعر

Victor Hugo

(١٨٠٢ — ١٨٨٥)

المستر لورنس بنيون

Laurence Binyon

وقد صورت في حديقة منزله الريفي باتجلترا

فُتح الباب بغتة على المصراعين بصرٍ صريرٍ فولج منهُ الى الكوخ شعاع أبيض وبدا الصياد على العتبة جذلان يجر شبكة تنضح بالماء وقال: « هذه هي الملاحة! وقالت حنة: أو أنت ! » وعانقت بلهفة بعلها ولمّت رداءه لمّة الوله بينما كان الملاح يقول: « هاءنذا يا امرأتي ! » فترى منهُ على جبينه الذي كان أتون النار يلقي عليه نوره، قلبه الطيب الراضي الذي تلقي عليه حنة نورها. وقال: «لقد سُلبت وضاع كدحي. انما البحر غابة — وكيف كان الجو ؟ — عاصفاً شديداً — والصيد ؟ — خاسراً رديئاً ولكن هاءنذا معانقك وتقرُّ عيني. ما أصبت وشلا. لقد تخرقت شبكتي. لقد كان الشيطان رابضاً من وراء الريح التي كانت تهدر. يا لها ليلة ! لقد ظننت لحظة مع كل هذا التصيف والضجيج ان السفينة تضطجع وان المرسى قد انقطع. وما صنعت أنت خلال ذلك ؟ »

فمرتْ حنة في الظلام هزة واضطربت وقالت: «أنا ؟ عمر الله، لا شيء خطتُ كالعادة، وكنت اسمع البحر كالرعد وكنت خائفة — أجل، ان الشتاء كلب شديد ولكن سيان» . حينئذٍ قالت ترتجف كالمن يركبون المعصية: « والحديث ذو شجون، ان جارتنا قد ماتت . أمس قضت نحبها . وبعد، فسيان وانا اذ مضيت أنت عشاء، تركت هي طفليها، وانهما لصغيران يدعى أحدهما غليوم والثاني مادلين. واحد لا يمشي والآخر لا يكاد يتكلم. لقد كانت المسكينة الطيبة فقيرة عازة . »

فاتخذ بعلها هيئة الجد، والقى في أحد الاركان قلنسوة مكدود شقي بللها الاعصار وقال وهو يحك رأسهُ: «يا عجباً ! يا عجباً ! لقد كنا بخمسة أطفال فهاهم سبعة. لقد كنا من قبل في هذا الفصل الرديء العاتي نتجاوز من العشاء أحياناً، فكيف بنا الآن ؟ ... انهما والله لصغيران ! لا يمكن ان يقال لهما: اشتغلا. يا امرأة هلمي فأتي بهما. لئن كانا قد استيقظا فلا بد يخافان مع الميتة وحدهما. ها هي امهما تقرع بابنا فلنفتح للطفلين. إنا نخلطهم جميعهم معاً وكل مساء ينشبان بحجورنا وسيعيشان معاً ويكونان أخاً وأختاً للخمسة الآخرين . . . وأشرب انا الماء صرفاً واضاعف جهدي وكدي. قضي الامر . هلمي فاحضريهما. ولكن ما بك ؟ أساءك هذا ؟ عادتك في مثل هذا الاعجال والمبادرة .

فقالت وقد شقّت عن الاستار . انظر . ما هما !

الفتاة الاجنبية (١)

[يعني صديقنا الدكتور بشر فارس الآن بدراسة اللغة الالمانية وآدابها في برلين. وهذه القطعة من بواكير ما نقله عن الشعر الالماني وهي لشاعر الالمان الابتداعي شلر (١٧٦٩ — ١٨٥٠)]

في غُرّة كل سنة ، أوّلَ ما تصفير القنابر ، كانت فتاة جميلة فتّانة تبرز في وادٍ الى رعاة مقلّين

لم يكن الوادي مَسقَطَ رأسها ، ولم يدرِ أحد مأتاها ، وكانت متى انصرفت عفا أثرها

السعادة كانت بين يديها ، فما انفكّت القلوب تفرح بها ، غير أن جلالةً لها ، من الظَرف والكَلَفِ جعلت تصونها

كانت تأتي بأزهار وفواكه : هذه نضجت وتلك تفتّحت في قرى أخَر ، في أقاليم أخرى ، عند طبيعةٍ أوفر حظّاً

كانت تصل الرعاة واحداً واحداً : فتنيلُ هذا فاكهة وتهبُ ذاك زَهْراً . فكان كلّهم — فتاهم وشيخهم المتوكّئ — ينطلق الى داره وبين يديه تحفة

وكانت ترحب بالضيف جميعهم . الّا أن عاشقَيْن دنَوا منها ، فنحتْهما الطفَ الهدايا إذ جادت لها بأتمّ الازاهر حُسْناً

الدمعة

[نقل هذه القصيدة من الادب البرتغالي الاديب الياس زعرور ونشرتها مجلة « العصبة » التي يصدرها في سان باولو الكاتب المعروف حبيب مسعود وينشر فيها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل]

في صباح يوم من ايام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية ، اصابت ورقة من نبتة يابسة على جانب طريق موحش في سبسب مقفر . دمعة نقية متلألئة تظهر للقريب كأسة براقة وللبعيد كنجمة لمّاعة

---

(١) Das Maedchen aus der Fremde ، وبها يرمز الشاعر الى الشعر نفسه

مرّ بها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد راقه منها ذلك الاشعاع ، إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلىء الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صهرها الحب الدفين . ولكنني أتخلى عنها كلها مسروراً لو يتاح لي ان اعتاض منها بهذه الدرة اليتيمة لاجعلها شعاراً لملكي العظيم ومجدي الاثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت شامخة ولم تحفل بتاجه ودرره

ومرّ بها صليبي مدجج بسلاحه وعلى جسمه درع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه الا مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد من نصر الى نصر حيثما يفادي الانام ومتى رجعت اجعلها قلادة في عنق حبيبتي فتكون عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامتة يعنيها الرجاء ولم تعبأ بوعوده وعظمته

ومر بها يهودي شيخ بقافلة تحمل ما خفّ وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت احسد ملكاً على ما حشد من اموال ولا بحراً على ما حوى من لآلىء ولكنني تجاه هذه الدرة الفريدة ارى يديّ الشحيحتين تجودان ولا اسف بكل ما املك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه

وكان تحت التينة عوسجة صغيرة ذاوية تشرئب مدلة بحقها من رحمة الله فقالت تعالي ايتها الدمعة السماوية روّي جفاف تربتي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني شمسه جفافاً وانا بين الصخور لم اسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاب اغصاني اذ لا غصن لي يجثم عليه العندليب ولا ظلّ لي يؤمه بحبيبه الحبيب فأغيثيني ايتها القطرة السحرية ان لي بك غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منعمة صامتة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت الى تلك العوسجة الذاوية فأورقت وأزهرت زهوراً كجراح المصلوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجنيه من ازهى الورود

الخريف

للفونس دي لامرتين

[نقلها عن الفرنسية : جورجي نصيف بقولاوس]

سلاماً أيتها الغابة ، المتوّجة ببقية من الخُضْرة ، سلاماً أيتها الاوراق الصفر المبعثرة على العشب ، سلاماً أيتها الأيام الأخيرة ذات الروعة والبهاء ، فحُزنُ الطبيعة يحلو في نظري ، ويتردّد صداه في جوّ أحزاني

اني لاسلك ممرّ الغابة الموحش مفكّراً مهموماً ، ويحسن في قلبي ، ان أرى للمرة الأخيرة ، هذه الشمس الشاحبة ، وضياؤها الضعيف لا يكاد يخترق ، تحت قدميّ ، ظلام الغابة

أجَلْ ، في أيام الخريف هذه ، حيث تقضي الطبيعة نحبها ، أجد في نظراتها المحتجبة بهاء وجمالاً ، فهي وداع صديق ، هي آخر ابتسامة للشفتين ، اللتين سيغلقهما الموت الى الأبد

هكذا ، وقد اوشكتُ ان اغادر افق الحياة ، باكياً من ايامي الطويلة الامل الضائع التفتُ ورائي ، ملقياً نظرة اسىً وحسرة ، على تلك النعم التي لم يُتَحْ لي التمتع بها

ايتها الارض ، ايتها الشمس ، ايها الوادي ، ايتها الطبيعة الجميلة الوديعة ، اني مدينٌ لكِ بدمعة على حافة قبري ، فالهواء معطر الأريج ، والنور ساحر زاهر ، وما اجملَ الشمس في عين الراحل المائت !

اني لأتوق الى شرب الكأس حتى الثُمالة ، تلك الكأس الممزوجة بالرحيق والمرارة ، فقد يتبقّى في ذلك القدح ، الذي اشرب فيه الحياة نقطةٌ واحدة من الكوثر اللذيذ

قد يخبّىء لي المستقبل بين ثناياه ، عوداً الى الهناء الذي فقدتُ من الامل ، وقد اجد بين الملا ، روحاً لا اعرفها الآن ، تفهم روحي ، فتتآلفا وتتمازجا

ان وداع الزهرة عند سقوطها ، تسليمها عبيرها الى النسيم والشمس والحياة ، وأما انا فاذا قضيتُ ، تصاعدت روحي كلحن حزين مُشجٍ

طفل يبتسم للحياة

رأس فتاة

(تصوير ايمي نمر)